بسم الله الرحمن الرحيم

الفضائل التربوية في توجيهات أبي بكر الصديق رضي الله عنه

بحث مقدم إلى مؤتمر

"فضائل الصحابة وآل البيت"

المنعقد بجمعية أهل السنة أنصار آل البيت والأصحاب

في الفترة: 7-2010/7/8م

إعداد:

الأستاذ الدكتور/ نعمان شعبان علوان

أستاذ البلاغة العربية والإعجاز القرآني

الجامعة الإسلامية – كلية الآداب قسم اللغة العربية

1431هـ - 2010م

ملخص البحث:

تهدف الدراسة الحالية: إلى محاولة التعرف على أهم الفضائل والتوجيهات التربوية من خلال سيرة الخليفة الأول: أبي بكر الصديق ﷺ، وذلك للاعتبارات التالية:-

أنه أول منْ آمن من الرجال، وأول من صدق الرسول ﷺ، وهو مَنْ رافقه في الغار والهجرة، وأكثر مَنْ صاحب رسول الله ﷺ في حياته، والأكثر أهمية أن الرسول ﷺ قدمه ليؤمه والمسلمين في الصلاة، وذلك إنْ دل على شيء فإنما يدل على المكانة الرفيعة التي حظي بها أبو بكر الصديق ﷺ، مما أكسبته صفاتاً وفضائل لا يمتلكها إلا هو بعد رسول الله ﷺ، وليس أدل على ذلك من قول عمر بن الخطاب ﷺ: "ليتني شعرة في جسد أبي بكر".

وبناءً على ذلك؛ ستتطرق الدراسة إلى التوجيهات التربوية لأبي بكر الصديق: سماته الشخصية علاقاته الاجتماعية، والقيم التي غرسها في نفوس الصحابة والتابعين وإضافة إلى التحليلات التي نأخذ من محتواها هذه المضامين التربوية لعلنا نستفيد منها في توجيه أبنائنا وتربية أجيالنا.

ABSTRACT

The present study aims to try to identify the most important virtues, and educational guidance through the and for the following considerations: biography of the first Caliph: Abu Bakr ﷺ.

was the first man who believe in the Phrophet Mohammad accompanied him in the cave men, the first to ratify the Prophet in his life, and migration, more than companion of the Messenger of Allah submitted to frequented and Muslims and most importantly that the Prophet prayer, This, if anything, it indicates the high standing that, which earned given to Abu Bakr him the virtues of capacity does not possess is only after the Messenger of Allah: "I wish hair in the body of, and not least in the words of Omar bin Khattab Abu Bakr."

Accordingly, the study will address the educational guidance to Abu Bakr, personality traits, social relationships, the values instilled in the hearts of companions and followers, in addition to analysis of the content we take the educational implications for the public benefit from them in guiding the education of our children and generations.

المقدمة:

فضائل الصحابة.

لقد كان أصحاب رسول الله ﷺ مُثلاً عليا في: الصبر والثبات والإيمان واليقين، وذلك من خلال: أخلاق الرجال وحكمة العقلاء وصفات النبلاء التي تمتعوا بها منذ اللحظة الأولى التي بايعوا فيها رسول الله ﷺ؛ فهانت عليهم: نفوسهم، وأموالهم، وأهليهم، وعشائرهم، واستلذوا المكاره، وخاصموا النوم والراحة وباعوا كل حاضرهم بغيب آمنوا به دون أن يروا منه شيئاً.

وبذلك ارتفع أصحاب الرسول ﷺ فوق كل الأطماع الشخصية وتجسدوا في كيانٍ واحد ألا وهو نصرة الدين، ورفع شأن الإسلام، وليس أدل على ذلك من أن الصحابة في الغزوات كانوا يجدون الذهب والأموال فيأتون بها إلى قائد الجيش ويسلموها كما هي، مع العلم أنهم وجدوها دون أن يراها أحد، لكنها نفوس ارتفعت عن الصغائر فوجدت متاع الدنيا لا قيمة له فترفعت عنه وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: "والذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل جبل أحدٍ ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصفيه"[1] رواه مسلم والبخاري.

أبو بكر الصديق.

هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو القرشي التيمي، ولد بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر عام 51 قبل الهجرة (573م) كان يلقب بعتيق لحسنه وجماله وقيل لعتقه من النار؛ لأن رسول الله ﷺ قال له: "يا أبا بكر أنت عتيق الله من النار"، كان من سادات مكة وأغنيائهم، وكان لا يغادرها إلّا للتجارة، عرف عنه أنه حرم الخمر على نفسه في الجاهلية، ولما سُئل هل شربت الخمر في الجاهليـة؟ قال: أعوذ بالله، فقيل: ولم؟ قال: كنت أصون وأحفظ مروءتي فإن مَنْ شرب الخمر كان مضياعاً في عرضه ومروءته. وهو أول من أسلم من الرجال وأول من صلى مع رسول الله.

مكانته وصفاته.

أجمع أهل السـنة أن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وروى الطبري في الكبير عن رسول الله أنه قال: "ما من نبي إلّا وله وزيران من

(١) رجال ونساء حول الرسول، عاطف صابر شاهين، ص16، دار الغد الجديد، المنصورة، 2003م.

أهل السماء ووزيران من أهل الأرض فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر"[٢].

أول من أسلم من الرجال، ورافق رسول الله في هجرته، وآوى معه في الغار، أنزل الله فيه قرآناً يتلى إلى يوم القيامة قال تعالى: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾[٣]، لذلك تمتع أبو بكر بمنزلة رفيعة في مكة وعرف: بسداد رأيه ورجاحة عقله، ومروءته، واعتداله، ذا خلق، وصاحب معروف...

كان محبباً سهلاً، عالماً بأنساب قريش وبأخبارها[٤] وكان أميناً صادقاً في معاملته، كما اتصف برقة القلب وسماحة النفس والرحمة الشديدة.

قال مصعب بن الزبير: "وأجمعت الأمة على تسميته بالصديق لأنه بادر بتصديق الرسول ﷺ ولازم الصدق"[٥]، كان إسلامه صفواً خالصاً قوامه التصديق العميق والإيمان الخالص من كل شائبة، والاطمئنان الصادق إلى كل ما يحدّث به رسول الله ﷺ.

أخرج أبو يعلى عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: "أتاني جبريل آنفاً، فقلت: يا جبريل حدثني عن فضائل عمر بن الخطاب، فقال: لو حدثتك بفضائل عمر مدة ما لبث نوح في قومه ما نفذت فضائل عمر، وإن عمر حسنه من حسنات أبي بكر"[٦]، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة بل هو أولهم بشارة بها، وهو أول من جمع القرآن وسماه مصحفاً وأول من ولّى الخلافة وأبوه حيٌّ، وأول خليفة مات وأبوه حيٌّ، وفيه قال النبي ﷺ: "لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر" ولم يذكر أحداً من أقاربه، لا العباس ولا علي ، ولا عثمان ، ولا غيرهم.

وتأمل في خصال اجتمعت فيه في يوم واحد، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: "من أصبح منكم اليوم صائماً؟ فقال أبو بكر: أنا، قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو

(٢) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، محمد السيد الوكيل، ص13.

(٣) (التوبة/40)

(٤) السيرة النبوية، أبو الحسن الندوي، ص103، دار الشروق، السعودية، ط2، 1977م.

(٥) جولة تاريخية في عهد الخلفاء الراشدين ، محمد السيد الوكيل ، ص 11.

(٦) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، محمد السيد الوكيل، ص11.

بكر: أنا، قال: هل فيكم من عاد مريضاً؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فهل فيكم من تصدق بصدقة؟ فقال أبو بكر: أنا، قال: ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة" رواه مسلم.

المضامين التربوية في توجيهات أبي بكر الصديق.

تضمنت توجيهات أبي بكر الصديق ﷺ في: البيعة والقتال والإنفاق وتوجيه الجيوش عدداً من المضامين التربوية منها: الوفاء، الإنفاق، الثبات، العدل، الحزم، المساواة، التواضع، الحيطة، الحذر، الذكاء، الحرص على توحيد صف المسلمين، الكرم، إنقاذ المستضعفين، الاقتداء، الصدق، والتصديق برسول الله ﷺ، وابتغاء مرضاة الله في كل قول وعمل.

ولو تأملنا بعض مواقفه في مكة عندما قال له أبوه أبو قحافة: "يا بني إني أراك تعتق رقاباً ضعافاً، فلو أنك إذ فعلت أعتقت رجالاً جَلْداً يمنعونك ويقومون دونك! فقال أبو بكر: يا أبت إنما أريد ما أريد لله ﷻ"(٧).

إن ذلك القول وذلك التوجيه يتضمن فضيلة تربوية تتمثل في:

١ ـ محاولة إنقاذ المستضعفين.
٢ ـ الحرص على التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع المسلم.
٣ ـ الإنفاق في سبيل الله.
٤ ـ المساواة والمحافظة على كرامة الإنسان المسلم.

لقد تحمل أبو بكر ﷺ عبء تلك المهمة؛ لأنه كان الثري الوحيد في صفوف المسلمين، فأعتق ست رقاب قبل أن يهاجر إلى المدينة وهم: عامر بن فهيرة، أم عَبِيْس، وزنبرة، وقد أصيب بصرها حين أعتقها فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى، فقالت: "كذبوا وبيتُ الله ما تضرُّ اللاّت والعزَّى، وما تنفعان فردَّ الله بصرها".

ثم النهدية وابنتها وكانتا لامرأة من بني عبد الدار فمرَّ بهما وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها وهي تقول: "والله لا أعتقها أبداً، فقال أبو بكر: حلُّ يا أمُّ فلان: فقالت: حِلْ أنت، أفْسَدْتَهما فأعتقهما، قال: فبكم هما؟ قالت بكذا وكذا، قال: قد أخذتهما وهما حرتان".

(٧) المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير محمد الغضبان، ص47، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة ط10، 1998م.

ثم جارية بني مؤمل وهم حيّ من بني عدي أسلمت وأعتقها وكان يعذبها عمر بن الخطاب قبل أن يسلم، ثم أعتق بلالاً مولى أمية بن خلف.

قال أبو قحافة: "يا بني إني أراك تعتق رقاباً ضعافاً فلو أنك إذ فعلت أعتقت رجالاً جَلْدَاً يمنعونك ويقومون دونك! فقال أبو بكر: يا أبت إني إنما أريد ما أريد لله ﷻ".

كان هذا التكافل الاجتماعي بين أفراد التجمع الإسلامي قمة من قمم المساواة الإنسانية فلقد رفع الإسلام كرامة هؤلاء العبيد بعد أن كانوا متاعاً من المتاع، جاء الإسلام فردَّ عليهم إنسانيتهم، وآدميتهم، وأصبحوا أصحاب عقيدة، وفكر يناقشون بها، وينافحون عنها، ويجاهدون في سبيلها.

وبهذا أحس هؤلاء العبيد من أبناء هذا الدين الجديد أنهم أسرة واحدة، وبيت واحد، يحمل غنيهم فقيرهم ويؤثر سيدهم عبيدهم وحقَّ لأبي بكر ﷺ أن يأتيه الثناء من فوق سبع سموات: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى ۞ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ۞ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ۞ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى ۞ وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾[٨].

الكريم لا يضام.

كان أبو بكر الصديق رجلاً كريماً ينفق ماله في وجوه الخير كله وعلى رأس ذلك عتق العبيد وتحريرهم لوجه الله سبحانه وتعالى وشهد العرب لأبي بكر بذلك.

ورد في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: "لم أعقل أبويّ إلا وهما يدينان الدين ولم يمر يوم إلّا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار، بكرة وعشية، فلما أبتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً إلى أرض الحبشة، حتى إذا بلغ (برك الغماد) لقيه أحد سادة القبائل العربية يقال له (ابن الدغنة) فقال: "أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: "أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض، وأعبد ربي"، فقال ابن الدغنة: إن مثلك يا أبا بكر لا يَخرج ولا يُخرج؛ إنك تكسب المعدوم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، ارجع واعبد ربك ببلدك، فرجع أبو بكر وارتحل معه (ابن الدغنة) وطاف في أشراف قريش وقال لهم: إن أبا بكر لا يَخرج ولا يُخرج، أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على

(٨) (الليل/17-20)

نوائب الحق؟! فقالت قريش: أمر أبا بكر فليعبد ربه في داره، وليصل فيها وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك، ولا يستعلي فإنا نخشى أن يُفتن نساؤنا وأبناؤنا، فقال ابن الدغنة: ذلك لأبي بكر فلبث يعبد ربه في داره ثم ابتنى مسجداً بفناء داره فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن بصوت عالٍ فتتقصف عليه نساء المشركين

وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين(٩).

ولما خُير أبو بكر بين إجارة ابن الدغنة آمناً قرير العين متمتعاً بحرية العبادة وبين أن يدعو ويتحمل مسئولية الدعوة فآثر أبو بكر الدعوة في سبيل الله على حرية العبادة وما يترتب عليها من أمان واستقرار.

الذكاء الوجداني والثبات الانفعالي(١٠) في بعض توجيهات ومواقف أبي بكر.

أبو بكر الصديق من أكثر الصحابة رضوان الله عليهم ثباتاً انفعالياً، ورزانة في الفكر، وقدرةً على التعامل مع المواقف المختلفة، فهو الذي صدق رسول الله ﷺ يوم كذبه الناس وهو الذي آمن به يوم كفر به الناس وهو الذي تحمل معه وعنه الأعباء الكثيرة في سبيل نشر الدعوة الإسلامية فعاش مع رسول الله ﷺ منذ اللحظة الأولى.

لذلك عندما التحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى عزَّ فراقه على الصحابة أجمعين فها هو عمر بن الخطاب يشهر سيفه في وسط المسجد ويقول من شدة الصدمة: " من قال إن محمداً قد مات فسأضرب عنقه بسيفي هذا، إن محمداً لم يمت وإنما خرج إلى ميقات ربه كما خرج موسى وسوف يعود "، وأخذ يرددها بانفعال شديد لهول الصدمة التي تعرض لها عمر.

أما علي بن أبي طالب فلم يتمكن من المشي على قدميه، فأخذ يحبو حتى دخل بيت الرسول ﷺ، وصحابي ثالث من الأنصار قال: " اللهم خذ بصري حتى لا أرى أحداً بعد رسول الله ﷺ أما أبو بكر الصديق ﷺ فقد دخل على النبي ﷺ وقبله وتأكد من وفاته وقاله: بأبي أنت وأمي يا رسول الله تذهب وتتركنا، ثم وضع رأسه على وسادةٍ وخرج إلى المسجد وصعد المنبر وعمر ينادي بأعلى صوته بمقولته السابقة فقال له: "أسكت يا

(٩) مختصر السيرة، محمد بن عبد الوهاب، ص87.

(١٠) الثبات الانفعالي: قدرة الفرد على التحكم في انفعالاته في كافة الظروف والمواقف المختلفة، الذكاء الوجداني: تعامل الفرد مع المواقف بما تقتضيه الحالة.

عمر" ، فرفض عمر السكوت فتركه أبو بكر وخطب في الناس قائلاً: "أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت"(١١).

ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾(١٢).

وهنا سكت عمر وقال: " يا أبا بكر هل هذه الآية وردت في القرآن" فالمتأمل في هذا السرد يتأكد له مدى الثبات الانفعالي والذكاء الوجداني الذي يتمتع به أبو بكر ﷺ.

وهذا يدلل على أن شدة الانفعالات تؤثر في الجانب المعرفي وظهر ذلك جلياً في موقف عمر بن الخطاب والأنصاري وعلي بن أبي طالب ﷺ، كلما زادت الانفعالات قلت المعرفة، وكلما قلت الانفعالات انعدمت المعرفة، وكلما توسطت الانفعالات ارتفع الجانب المعرفي وذلك ما اتضح في موقف أبي بكر الصديق الذي أثبت للجميع أن الصبر عند الصدمة الأولى(١٣)، "فلم يجزع ولم يَرْتَبْ لوفاة النبي ﷺ بل دفع الجزع والريب عن نفوس المؤمنين الصادقين حتى ذكرهم بما أنبأ الله به في القرآن من آن النبي معرض للموت ومن أنه ميت كما يموت غيره من الناس"(١٤).

ومن المواقف التي اتضح فيها الثبات الانفعالي عند أبي بكر: تصديقه بخبر الإسراء والمعراج عندما أخبر بأنه أسري برسول الله ﷺ وكذبته قريش، بل رأت أن ذلك الحادث هو الذي سيفتن أبا بكر، ويرده عن تصديق رسول الله إلا أنه فاجأهم بقوله: "والله لئن كان قاله لقد صدق من يعجبكم من ذلك، فوالله إنه ليخبرني أن الخبر يأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه، فهذا أبعد مما تعجبون منه"(١٥).

وأما الذكاء الوجداني: فقد اتضح في صلح الحديبية حيث اضطرب الناس وضاقوا به أول الأمر وثار له عمر بن الخطاب ﷺ حيث أتى أبا بكر ﷺ فقال: "يا أبا بكر، أليس برسول الله؟ قال: بلى، قال: أليس بمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال:

(١١) نحو علم نفس إسلامي ، حسن محمد الشرقاوي ، ص 83 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(١٢) (آل عمران/145)

(١٣) القرآن وعلم النفس ، محمد عثمان نجاتي ، ص 71 ، دار الشروق ، مصر ، ط6 ، 1997م.

(١٤) الشيخان، طه حسين، ص18، وزارة التربية والتعليم الفلسطيني، الإدارة العامة للكتب والمطبوعات، عام 2000م.

(١٥) السيرة النبوية، أبو الحسن القدوى، ص168، المطبعة العصرية، بيروت.

بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال أبو بكر: يا عمر، إلزم غرزه (أي أمره)، فإني أشهد أنه رسول الله، فقال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله، ثم أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ألست رسول الله؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، فقال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال: "أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيعني"(١٦).

ومن مواقف الثبات الانفعالي التي تميز بها أبو بكر الصديق ثباته واتزانه في حادثة الإفك التي استغلها المنافقون وأصحاب النفوس الضعيفة من المسلمين، وكان هدفها ضرب القيادة وإحراجها أمام قواعدها بطعنها في عرضها وشرفها، إلا أن المتأمل في ثبات أبي بكر يرى أن الشدائد والإشاعات والمواقف الصعبة لا تؤثر في عزيمة القادة العظام، ولا تزحزحهم عن تمسكهم بثوابتهم لأنهم مؤمنون بقوله تعالى: ﴿الم ۞ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ﴾(١٧).

إن ثبات القادة على المبدأ لا يجعلهم عرضة لمثل تلك المكائد والمؤامرات وهل هناك أعظم من رسول الله ﷺ وأبي بكر الصديق ﷺ وهما المستهدفان بهذه المكيدة النكراء والإشاعة البغيضة؟!.

– ومن الثبات الانفعالي لأبي بكر: الإنفاق على من أساء إليه: ويتجلى ذلك الموقف في إنفاقه ﷺ على (مِسْطح) لقرابته منه، وفقره.

فلما وقعت حادثة الإفك وبدأ (مِسْطِح) يتلسن على عائشة أم المؤمنين، غضب أبو بكر من تقوله على ابنته لما اقترف من الإثم، وأزمع أبو بكر أن يقبض عنه معونته وإحسانه وأقسم ألا ينفق عليه أبداً بعد الذي قاله في عائشة، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي القُرْبَى وَالمَسَاكِينَ وَالمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(١٨).

(١٦) السيرة النبوية ، ابن هشام ، ج3 ، ص 203.

(١٧) (العنكبوت/1-3)

(١٨) (سورة النور/22)

فلما سمع أبو بكر هذه الآية قال: "بلى والله، إني لأحب أن يغفر الله لي ثم عفا وصفح وأرجع إلى (مسطح) نفقته التي كان ينفق عليه، وقال: لا أنزعها منه أبداً[١٩].

وذلك يضمن مفاهيماً تربويـة تمثلت في: العفو عند المقدرة، والصفح، والاستجابة لأمر الله، إنه أبو بكر الصديق الذي أسلم وعنده أربعون ألف درهم فلما هاجر إلى المدينة مع رسول الله ﷺ لم يبق معه إلى خمسة آلاف درهم أنفقها في سبيل الله، لذلك لم يكن أبو بكر أسبق الناس إلى الإسلام فحسب بل كان أحسنهم فيه بلاءً وأثبتهم فيه قدماً وأشدهم له اطمئناناً.

ومن الثبات الانفعالي موقف ﷺ من حادثة الإفك، هذه الحادثة التي تجسدت باتهام الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها، ومحمد رسول الله سيد الأمة استشار كبار أصحابه فوقف على المنبر يخطب في الناس قائلاً: "أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق، والله ما علمت عنهم إلا خيراً ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت عليه إلا خيراً وما يدخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي"[٢٠].

وأبو بكر الصديق وزوجه أم رومان، قالت أم رومان لابنتها: " أي بنية خفضي عليك الشأن، فوالله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثَّرن وكثر الناس عليها "[٢١]، ولم يتمالك أبو بكر ﷺ أن يقول: "ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل آل أبي بكر، والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية حيث لا يعبد الله، فيقال لنا في الإسلام"[٢٢].

أي ثبات هذا الذي تمتع به أبو بكر ﷺ وقد نزل به من البلاء مالم ينزل بمسلم ومع ذلك لم يخرج عن طوره ولم يطلق لسانه في عرض أحد، حتى الذي منع عنه النفقة أعادها عليه، وهو يعلم علم اليقين أن الله سبحانه وتعالى سيظهر الحق، لذلك تمثلوا جميعاً قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ المُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[٢٣].

(١٩) انظر: رجال ونساء حول الرسول، عاطف شاهين، ص213.

(٢٠) المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير الغضبان، ص333.

(٢١) المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير الغضبان، ص334.

(٢٢) المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير الغضبان، ص334.

(٢٣) (سورة يوسف/18)

حتى نزلت البراءة من فوق سبع سماوات، قال تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾(٢٤)، فانطفأت الفتنة وانحسر الفساد وخزي المنافقون.

المضامين التربوية في خطبته ﷺ عندما بُويع بالخلافة.

خطب أبو بكر خطبته المشهورة، بعدما ولى الخلافة وقد حدد فيها معالم السياسة التي سينهجها في خلافته، علماً بأن الخلافة عهد بين الخليفة ورعيته قوامة: أن يلزم الخليفة نفسه أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأن ينصح للمسلمين ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾(٢٥).

وكذلك طاعة المسلمين للخليفة واجبة ما التزم بما عاهدهم عليه، لذلك رسم أبو بكر الصديق الملامح التي تتميز بها خلافته فقال: "أما بعد: أيها الناس، إني وُليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإن عصيت الله ورسوله؛ فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله"(٢٦).

والمتأمل في تلك الخطبة يتضح له: أن أبا بكر حدد الملامح العامة لسياسته التي سينتهجها في حكمه وعمادها طاعة الله ورسوله شرطاً لالتزام الرعية بالسمع والطاعة، ثم تضمنت بعض المفاهيم التربوية ومنها المشاورة في تعيينه خليفة والرضا عنه؛ لأن سيرته الحسنة مع رسول الله جعلت الناس يقدمونه في الخلافة على أنفسهم قائلين: "اختاره رسول الله ﷺ لديننا فَلِمَ لا نختاره لأمر دنيانا، وذلك حين ثقل على رسول الله المرض فقدمه للصلاة، وقوله ﷺ يوماً على المنبر: "لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً

(٢٤) (النور/11-12)

(٢٥) (النحل/91)

(٢٦) تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، ج3، ص 210.

لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن إخاءٌ وصحبة حتى يجمعنا الله عنده، إنها معطيات ومقدمات جعلت الناس يقدمون أبا بكر وهذا ما يفهم من قوله: "إني وليت عليكم ولست بخيركم".

ثم عدم المجاملة في الحق، وبهذا يعلم الناس أن يصدعوا بكلمة الحق على الدوام ولا يخشون في الله لومة لائم، وهذا تقرير لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن نظام الحكم لا يستقيم إلا بهذا المفهوم:

- ينصح الناس بالصدق والابتعاد عن الكذب؛ على اعتبار أن الصدق أمانة والكذب خيانة.
- العدل بين الناس فكل الناس أقوياء بمنطق الحق والقانون.
- بيان سبب العزة والكرامة والأنفة المرتبطة بالجهاد في سبيل الله ولا عزة بغير الجهاد.
- الدعوة إلى ترك الفاحشة؛ لأن البلاء ملازم لها.
- الحرص على توحيد صف المسلمين وذلك من خلال مراجعة من لم يبايع من الصحابة في اليوم الأول، ففي اليوم الثاني للبيعة نظر أبو بكر وهو فوق المنبر فلم ير الزبير بن العوام فدعا به فجاء، فقال له أبو بكر: "ابن عمة رسول الله وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال الزبير: لا تثريب يا خليفة رسول الله" فقام فبايع.

ثم تفحص وجوه القوم فلم يقع نظره على علي بن أبي طالب، فدعا به فجاء فقال أبو بكر: ابن عم رسول الله وختنه على ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال علي: لا تثريب يا خليفة رسول الله" ثم بايعه[٢٧]؛ ومما يدل على حرص خليفة رسول الله على توحيد صف الأمة، فلا يريد أن يبقى أي واحد من كبار الصحابة خارجاً عن دائرة البيعة كي لا يحدث خللاً فينظر الناس إلى فعله، فالأمة الموحدة هي الأمة القادرة على مواجهة التحديات، وليس من تحديات أصعب مما كان في عهد أبي بكر الصديق ﷺ.

(٢٧) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، محمد السيد الوكيل، ص16.

الاقتداء برسول الله وحبه له.

كان أبو بكر أكثر الناس حباً لرسول الله، وأقربهم إلى قلبه لذا تم اختياره ليكون رفيقه وصاحبه في الغار، قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾[٢٨]، لذا آثره النبي ﷺ بحبه حتى كان أحبَّ الناس إليه يقدمه على غيره، فأحبه الناس وتعبيراً عن تلك المحبة وذلك الاقتداء برسول الله كان أول أمر صنعه بعد الخلافة، إنفاذ جيش أسامة إلى بلاد الشام حيث أمر رسول الله علماً، بأن رأي الناس من حوله أن يؤجل إنفاذ جيش أسامة؛ حفاظاً على أمن المدينة من الأعراب الذين يجهزون للإغارة على المدينة بعد خلوها من صفوة الجند وأولي القوة والبأس، إلا أن أبا بكر ولم يكن أبغض إليه من أن يخالف عن أمر رسول الله مهما تكن الظروف والعواقب، ثم لما طلب منه أن يعين على الجيش رجلاً أكبر سناً من أسامة بن زيد، أبى أيضاً، حتى أرسل الناس إليه عمر بن الخطـاب، فقال له أبو بكـر: "ثكلتك أمك يا ابن الخطاب، يوليه رسول الله وأعزله أنا".

فرجع عمر بما قاله أبو بكر، فما زاد المسلمين إلا سمعاً وطاعة، ثم خرج أبو بكر مشيعاً ومودعاً ماشياً وأسامة بن زيد راكباً، ولما طلب منه أسامة الركوب أو يأذن له بالنزول فرفض، ثم أوصاه بأن ينفذ أمر رسول الله لا ينقص منه شيئاً، إنها المحبة والاقتداء والسمع والطاعة والتواضع.

وتمثل الاقتداء برسول الله أيضاً: في معاملة خالد بن الوليد بعد فتح مكة حيث أرسله رسول الله إلى بني جذيمة فأسرهم وعرضهم على السيف وهم يقولون: صبأنا صبأنا يريدون أسلمنا ولكنهم لم يحسنوا النطق بها، ولما علم رسول الله بالخبر رفع يديه إلى السماء وقال: "اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد ثلاث مرات ولكن لم يقتل الرسول خالداً قصاصاً ولم يعزله عن إمارة الجيش بل أرسله بعد ذلك على سرية ليهدم العزَّى، وأمره على سريه؛ بعد غزوة تبوك، وأرسله إلى دومة الجندل فأسر (أكيدر) وجاء به إلى رسول الله"[٢٩].

(٢٨) (التوبة/40)

(٢٩) السيرة النبوية، ابن هشام، ج4، ص54.

فكان أبو بكر مقتدياً برسول الله في معاملة خالد، وخاصة بعد مقتل مالك بن نويرة، حيث طالب بعض الصحابة بعزله عن قيادة الجيش، إلا أن أبا بكر لم يعزله كما لم يعزله رسول الله وأرسله أميراً على الجيش الذي أرسله إلى اليمامة لحرب مسيلمة.

الصرامة والحزم في حرب المرتدين.

كشف العرب عن دخائل نفوسهم وقلوبهم بعد وفاة رسول الله ﷺ فأظهروا ما أظهروا من الردة وجعلوا يساومون أبا بكر في الزكاة على أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فظهر فيهم من يدعي النبوة، فأعلن مسيلمة نبوته في اليمامة وجعل يقول: "لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكنَّ قريشاً قومٌ يظلمون".

وأعلن الأسود العنسي نبوته في اليمن، ثم طليحة الأسدي نبوته في بني أسد، ثم تنبأت سجاح في بني تغلب.

إلا أن أبا بكر ثبت أمام ذلك كله أجمع وشنَّ عليهم حرباً شاملة طالت كل أنحاء الجزيرة العربية هدد فيها المرتدين المارقين عن دين الله، بالقتل والسبي إن لم يفيئوا إلى أمر الله وأنذرهم بأن أمراءه لن يقبلوا منهم إلا الإسلام فمن فاء فهو خير له، ومن أبى فلن يعجز الله.

لذلك خرج أبو بكر مع الناس إلى منطقة يقال لها (ذي القصَّة) تبعد عن المدينة أربعة وعشرون ميلاً، وهناك جمع الجند وعقد الألوية، وكان عددها أحد عشر لواءً، وقد عين على كل لواء قائداً من القادة، وسمى لهم القبائل وحدد منازل تلك القبائل وهي على النحو التالي:-

١ -خالد بن الوليد: وُجِّه لمقاتلة طليحة بن خويلد من قبيلة بني أسد، فإذا فرغ منهم قصد إلى مالك بن نويرة ومن معه من تميم، وسميت المعركة التي دارت مع طليحة بمعركة البزاخة، حيث يقيم طليحة، وقتل خالد من أتباع طليحة من قتل، وأسر منهم من أسر، ولكن أوامر الخليفة كانت تقضي بألا يقتل خالد الأمراء من المرتدين، لذلك قتل خالد من قتل من المسلمين، وأحرق من أحرق، ورمى بعضهم من رؤوس الجبال كما فعلوا بالمسلين "وأقرَّ الخليفة السياسة التي اتبعها

خالد ولم يلمه على عقوبة أنزلها بأعداء الله، ولو كانت الأحراق بل شجعه بقوله، ولا تظفرنَّ بأحد قتل المسلمين إلا قتلته ونكلت به جهرة"[٣٠].

وقد تضمنت تلك التوجيهات بعض المفاهيم التربوية ومنها:

أولاً: إنزال الناس منازلهم حتى في حالة الحرب.

ثانياً: عدم التهاون مع المرتدين.

ثالثاً: العقوبة بالمثل، وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به.

٢ - عكرمة بن أبي جهل: وجه لمقاتلة مسيلمة الكذاب، ثم أرسل شرحبيل بن حسنة لمساندة عكرمة خاصة وأن عكرمة تعجل في مقاتلة مسيلمة فهزم، وخشي أن يسمع بذلك المسلمون فَيَفُتَّ في عضدهم، ويوهنَ قوتَهم لذلك قال له: "لا ترين ولا أراك، لا ترجعنَّ فتوهن الناس، أمضي إلى حذيفة وعرفجه فقاتل أهل عمان ومهرة، ثم تسير أنت وجندك حتى تلقى المهاجر ابن أبي أمية باليمن، وحضرموت"[٣١].

وقد تضمن ذلك التوجيه مفهوماً مهماً وخطيراً: يتمثل في الحرص على وحدة وتماسك الجيوش المنتشرة في أنحاء الجزيرة لمحاربة المرتدين فلا يوهن عزائمها ولا يحطم ذلك الخبر نفسياتها، لأن إشاعة مثل هذا الخبر ربما يؤدي إلى هزيمة كل الجيوش في آنٍ واحد، لذلك أمره بألا يعود إلى المدينة، إنها حكمة القائد! وسمع شرحبيل بهزيمة عكرمة فانتظر حتى وصل خالد وخاضا المعركة الفاصلة مع مسيلمة حتى تحقق النصر وقتل مسيلمة ومن معه.

٣ - المهاجر بن أمية: وجه لمقاتلة من بقي من أتباع الأسود العنسي بعد قتله فإذا فرغ منهم توجه إلى المرتدين من كندة.
٤ - خالد بن سعيد بن العاص: وجه إلى مشارف الشام.
٥ - عمرو بن العاص: وجه لمقاتلة قضاعة.
٦ - حذيفة بن محصن: وجه لمقاتلة أهل دبا (عاصمة عمان قديماً).

(٣٠) البداية والنهاية، ابن كثير، ج6، ص318.

(٣١) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، د. محمد السيد الوكيل، ص49.

٧ ـ عَرْفجة بن حسنة: وجه لمقاتلة مهرة.
٨ ـ شرحبيل بن حسنة: لمعاونة عكرمة بن أبي جهل على حرب مسيلمة، وإن فرغ من ذلك عليه أن يتوجه إلى قضاعة لمعاونة عمرو بن العاص.
٩ ـ طريف بن حاجز: وجه لمقاتلة سُكيم ومن معه من هوازن.
١٠ ـ سويد بن مُقَرِّن: وجه لمقاتلة القبائل المرتدة من تهامة اليمن.
١١ ـ العلاء بن الحضرمي: وجه لمقاتلة المرتدين من البحرين.

توجيهات الخليفة لأولئك القادة.

أوصى أبو بكر أولئك القادة بأن يصل كل واحد منهم إلى القبيلة التي وجه إليها، فإذا بلغها دعاها إلى الإسلام، فإذا أجابت؛ قبل منها وأعطاها ما لها من الحق، وأخذ منها ما عليها من الحق، وإن أبت؛ قاتلها في غير هوادة، ولا رفق حتى تفيء إلى الإسلام، فإذا فاءت فهي آمنة تأخذ حقها وتعطي ما عليها.

ثم أمرهم إذا نزلوا بقبيلة أن ينتظروا وقت الصلاة وأن يؤذنوا فإذا سمعوا أذان مَنْ بإزائهم ممن جاءوا لحربهم لم يقاتلوهم حتى يسألوهم ما هو؟ فإذا عرفوا الإسلام، كما أنزله الله على رسوله فهم آمنون لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وإن جحدوا من الإسلام شيئاً كانوا قد أعطوه لرسول الله قاتلهم المسلمون حتى يذعنوا ويقبلوا الإسلام كاملاً غير منقوص.

وتلك التوجيهات قد تضمت المفاهيم التالية:ـ

١ ـ الإسلام هو الفيصل: فلا يقبل من المرتدين إلا الإسلام، ولن يقبل الأمراء وقادة الجيوش منهم أيضاً إلا الإسلام.
٢ ـ الإسلام كاملاً غير منقوص، فلا مساومة على أمر ينقص من الإسلام شيئاً، لذلك قال أبو بكر كلمته المشهورة "أو ينقص الدين وأنا حي"؟!.
٣ ـ لا فرق بين الصلاة والزكاة، فلو جحدوا من الإسلام شيئاً كانوا يؤدونه إلى لرسول الله أوجب قتالهم.
٤ ـ الصرامة والحزم في مواجهة المرتدين وعدم التنازل عن أي شيء: "والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه، ولأقاتلنهم وحدي ما

استمسك السيف بيدي"[٣٢]، وذلك الذي جعل أبو بكر يرد على عمر بقسوة لما رأى منه وهناً في تلك المسألة فصارحه: "حتى أنت يا عمر أجبارٌ في الجاهلية خوار في الإسلام "[٣٣].

٥ ـ إظهار الغاية والهدف من المحاربة وهو: أن تفيء الأمة إلى أمر الله وليس المحاربة في ذاتها.

عدم التهاون حتى مع القادة العظام.

علم أبو بكر ما صنعه خالد من زواج ابنة فجاعة بن مرارة فغضب وتألم وأرسل كتاباً إلى خالد يعاتبه وكان شديداً حتى وصفه الطبري بقوله: "فكتب إليه كتاباً يقطر دماً". "لعمري يا ابن أم خالد أنك لفارغ تنكح النساء وبفناء بيتك دم ألف ومائتي رجل من المسلمين لم يجفف بعد"[٣٤].

وذلك يدل على أن انتصارات خالد بن الوليد لم تعفه من المعاتبة والمراجعة كما ويدلل على أن أبا بكر لم يعترض على الزواج بل اعترض على الوقت.

لأن مراعاة الحالة التي تحياها الأمة أمر في غاية الأهمية ولا يجوز تجاهله.

– ومن الصرامة والحزم في معاقبة المرتدين حرق الفجاءة (إياس بن عبد باليل) عامل أبو بكر الأسرى الذين أرسلهم خالد إلى المدينة برحمةٍ ولين ما عدا (الفجاءة) فإنه لم يحقق دمه ولم يصفح عنه، وذلك لأنه خدع أبا بكر وخان جماعة المسلمين فقد طلب من الخليفة أن يمده بالسلاح؛ ليكون عوناً للمسلمين، ولكنه استعمل السلاح ضد المسلمين، فاعتبر الخليفة عمله خيانة عظمى، وجريمة لا يجوز العفو عنها؛ لذا أمر به فأحرق في النار في بقيع المصلى (مكان مسجد الغمامة الآن)[٣٥] علماً بأن خالد أرسل إلى المدينة عدداً من الزعماء منهم الفجاءة (إياس بن عبد باليل) وقرة بن هبيرة، وعلقمة بن علاته، وعيينة بن حصن.

(٣٢) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، ص22.

(٣٣) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، ص22.

(٣٤) الطبري، ج3، ص300.

(٣٥) جولة تاريخية في عصر الخلفاء، محمد السيد الوكيل، ص31، ابن كثير، ج6، ص319.

حديقة الرحمان أم حديقة الموت.

إنها حديقة واسعة وجميلة وحصينة ومنيعة كانت لمسيلمة، وسماها بحديقة الرحمان، ولما تمكن منهم سيف خالد وفر قوم مسيلمة، كان محكَّم بن الطفيل لا يزال حياً ويقاتل المسلمين، وكانت الحديقة قريبة منهم ففروا إليها ووقف محكَّم بن الطفيل يدافع عن قومه، فانبرى له عبد الرحمن بن أبي بكر فضربه بسهم في نحره فقتله، ثم دخلوا الحديقة وأغلقوا بابها، فانبرى (البراء بن مالك) وطلب من المسلمين أن يرفعوه ويلقوه من فوق الأسوار، ليفتح باب الحديقة، وأصر على ذلك حتى نزل المسلمون عند رأيه وبيده سيف، وصاح صيحة فرَّ الناس من أمامه، وقتل منهم من قتل ثم فتح الباب ودخل المسلمون ووجدوا مسيلمة مختبئاً في جدار فضربه وحشيٌّ بسيفه ضربة قاتلة، ثم ثنى عليه أبو دجانة، وهنالك صاحت جارية من القصر " وآأمير الوضاءة قتله العبد الأسود"[٣٦].

وقتل في تلك الحديقة، ما يقرب من عشرين ألفاً من جيش مسيلمة وحوالي ستمائة من المسلمين، وبتلك المعركة تحدد مصير الجزيرة العربية ولم يعد هناك ما يقلق الخليفة أو يشغل بال المسلمين.

توجيهات أبي بكر الصديق ﷺ في اليرموك.

اتجه المسلمون إلى اليرموك تنفيذاً لوصية الخليفة فوجدوا الروم قد نزلوا بالوادي لأنه المكان الذي يتسع لجيشهم الضخم الذي يبلغ عدده مائتين وأربعين ألف مقاتل، وأما المسلمون فقد عبروا النهر إلى الجهة اليمنى وضربوا معسكرهم هناك في وادٍ منبطح يقع على الطريق المفتوح لجيش الروم وبذلك أغلقوا الطريق أمام الجيش ولم يعد للروم طريق يسلكونه أو يفرون منه، وبلغ جيش المسلمين سبعة وعشرين ألفاً بالإضافة إلى جيش خالد وهو تسعة آلاف ليصبح العدد ستة وثلاثين ألفاً، كان على رأسهم عدد من القادة العظام أرسلهم أبو بكر الصديق إلى الشام وهم:

١ - عمرو بن العاص أُمِّر على فرقة وأمر أن يتوجه إلى فلسطين.
٢ - يزيد بن أبي سفيان ولاه على جيش وألحقه بجيش آخر بقيادة أخيه معاوية.
٣ - شرحبيل بن حسنة أُمِّر على جيش خالد بن سعيد الذي هُزم وفرَّ من الشام.

(٣٦) انظر: جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، محمد السيد الوكيل، ص54.

٤ -أبو عبيدة بن الجراح أُمر على جيش عظيم ونزل في منطقة الجابية.

ثم عين أبو بكر ﷺ لكل جيش طريقه ومنزله، فسلك عمرو بن العاص وأبو عبيدة بن الجراح طريق المعرقة، ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة طريق التبوكية وتوجه الأمراء إلى الشام ولما وصلوا نزل أبو عبيدة في الجابية، ويزيد في البلقاء وشرحبيل في الأردن وعمرو بن العاص في العربة.

ثم توجه المسلمون إلى اليرموك تنفيذاً لوصية الخليفة، ولما رأى المسلمون أعداد الروم الرهيبة والكبيرة فزعوا، فكتبوا إلى عمرو بن العاص يسألونه ماذا يفعلون؟ فأجابهم "الرأي لمثلنا الاجتماع، مثلنا إذا اجتمعنا لا نغلب في قلة" ثم كتبوا إلى أبي بكر وسألوه، فأجابهم بمثل ما أجابهم به عمرو بن العاص وقال: "إن مثلكم لا يؤتى من قلة، إنما يؤتى العشرة آلاف والزيادة على العشرة آلاف إذا أتوا من تلقاء الذنوب، فاحترسوا من الذنوب واجتمعوا باليرموك متساندين، وليصل محل رجل منكم صاحبه"[٣٧]، وهذا التوجيه يتضمن المفاهيم التربوية التالية:-

أ - الالتزام الكامل بطاعة الله سبحانه وتعالى وطاعة رسول الله ﷺ.
ب - الابتعاد عن المعاصي كنتيجة طبيعية لطاعة الله ورسوله.
ج - لا يُغلب المؤمن من قلة لأنه كثير وقوي بالله ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ﴾.
د - التوحد والاجتماع على قلب رجل واحد.
ه - التواصل بين قادة الجيش وعدم...؛ لأن بالتواصل تقوى العزائم ويزول حاجز الوهن والخوف وتتوحد مواقف المسلمين وآرائهم.

توجيهات أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان.

لما بعث أبو بكر الصديق يزيد بن أبي سفيان على رأس جيش إلى بلاد الشام خرج أبو بكر معه ليوصيه بزيد راكب وأبو بكر يمشي فقال يزيد: يا خليفة رسول الله إما أن تركب وإما أن أنزل فقال: "ما أنت بنازل وما أنا براكب، إني أحتسب خطاي هذه في سبيل الله، يا يزيد إنكم ستقدمون بلاداً تؤتون بها بأصناف من الطعام، فسموا الله على أولها واحمدوه على آخرها، وإنكم ستجدون أقواماً قد حبسوا أنفسهم في هذه الصوامع

(٣٧) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج2، ص406، وتاريخ الرسل والملوك، الطبري، ج3، ص392.

فاتركوهم وما حبسوا له أنفسهم وستجدون أقواماً قد اتخذوا الشيطان على رؤوسهم مقاعد، (يعني: الشمامسة) فاضربوا تلك الأعناق، ولا تقتلوا: كبيراً هرماً ولا امرأة ولا وليداً، ولا تخربوا عمراناً ولا تقطعوا شجرة إلا لنفع، ولا تعقرنَّ بهيمة إلا لنفع، ولا تحرقنَّ نخلاً ولا تمزقَّنه ولا تغدر، ولا تمثل، ولا تجبن، ولا تغلل ولينصرن الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز، استودعك الله وأقرئك السلام"(٣٨).

المضامين التربوية التي تضمنها ذلك التوجيه:

١ ـ إنزال الناس منازلهم وتقدير القادة من قبل الخليفة.
٢ ـ التواضع لله لأن من تواضع لله رفعه.
٣ ـ شكر الله على نعمه وذلك من خلال ذكر اسم الله في أول الطعام والحمد في آخره.
٤ ـ المحافظة على العُبَّاد في الصوامع وعدم التعرض لهم "فاتركوهم وما حبسوا له أنفسهم".
٥ ـ المحافظة على أرواح الناس واحترام حقوق الإنسان فلا تقتلوا: كبيرة ولا امرأة ولا وليداً، لأن أؤلئك ليسوا من المحاربين.
٦ ـ المحافظة على البيئة، وإظهار الصورة الحضارية للمسلمين حتى في أوقات الحروب فلا تخربوا عمراناً ولا تقطعوا شجرة إلا لنفع ولا تعقرنَّ بهيمة إلا لنفع ولا تحرقنَّ نخلاً.
٧ ـ الوفاء وعدم الغدر.
٨ ـ التمتع بالشجاعة الكاملة وصفاء النفس في التعامل مع الناس ولا يتأتى ذلك: إلا بالوفاء بالوعد وعدم الغدر، وترك الغلّ والحقد.
٩ ـ الإشارة إلى أن نصر الله لا يتأتى إلّا إذ التزم المسلمون بكل الأدبيات وبكل التوجيهات النبوية والتوجيهات الواردة عن صحابة رسول الله ﷺ.

الاقتداء بتوجيهات رسول الله ﷺ لعبد الرحمن بن عوف عندما قال له "يا بن عوف اغزوا جميعاً في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله: ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً، فهذا عهد الله وسيرة نبيكم فيكم"(٣٩).

(٣٨) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج2، ص78.
(٣٩) البداية والنهاية، ابن كثير، ج5، ص225.

أبو بكر يعيد النظر في الهيكلية العسكرية الموجودة في بلاد الشام بعد وصول تلك الرسالة إليه، استشعر أبو بكر بضعف المسلمين في اليرموك، وأن ذلك الضعف ناتج عن ضعف القيادة وخاصة أنها متساوية في المقدرة وليس فيهم من يقرون له بالتفوق أو العبقرية التي يتميز بها عليهم حتى يجتمعوا عليه.

وبعد مشاورة أصحاب الرأي من صحابة رسول الله ﷺ؛ اهتدى أبو بكر إلى رأي قاطع وهو تعيين خالد بن الوليد قائداً أعلى جيش المسلمين في اليرموك وقال مقولته المشهورة "والله لأنيسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد"(٤٠).

فأرسل أبو بكر رسالة إلى خالد بن الوليد يأمره فيها بأن يستخلف على العراق ويتجه إلى الشام بخيرة جنده، استجاب خالد لأمر الخليفة فعين المثنى بن حارثة على العراق، واتجه بتسعة آلاف مقاتل من خيرة الجند إلى اليرموك.

ومن المفاهيم التي تضمنتها تلك التوجيهات:-

١ -الحكمة العالية التي يتمتع بها أبو بكر الصديق.
٢ -الاعتماد على مبدأ المشاورة لاتخاذ قرارات حاسمة.
٣ -الإقرار بعبقرية خالد بن الوليد العسكرية والتي لا يختلف عليها اثنان.

خالد بن الوليد نعم الاختيار.

١ -ذهب خالد إلى الشام عن طريق بادية الشام المعروفة ببادية السماوة، ولم يقطعها جيش قبل خالد، رغم تحذير العارفين له من تلك البادية إلا أنه أراد أن يباغت العدو فينزل خلفهم حتى لا يحبسوه عن إغاثة المسلمين.
٢ -وصول خالد إلى اليرموك أدخل البشرى والطمأنينة إلى قلوب المسلمين؛ ففرح المسلمون بذلك بعد أن دخل الضجر والملل إلى قلوبهم من طول المقام، علماً بأنهم مكثوا ثلاثة أشهر وهي: صفر، ربيع الأول، ربيع الآخر.
٣ -أول عمل قام به خالد هو: توحيد الجيش وتوحيد أبي بكر إليهم، لذلك قال لهم خالد "إن الذي أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيهم وأنفع للمشركين... ثم

(٤٠) البداية والنهاية، ابن كثير، ج7، ص5.

قال: هلموا ولنتداور الإمارة ليكن عليها بعضنا اليوم، والآخر غداً، والآخر بعد غدٍ، حتى يتأمر كلكم ودعوني إليكم اليوم فأمروه".

٤ -خالد يضع خطة لإعادة ترتيب الجيش وهي على النحو التالي:-

أ - قسم الجيش إلى كراديس، أي: فرق، ثم جعل كل فرقة ألف رجل، ثم جعل على كل فرقة رجلاً ممن اشتهروا بالشجاعة أمثال: القعقاع بن عمرو، وصفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل.

ب - أسند قيادة القلب إلى أبي عبيدة بن الجراح، والميمنة إلى عمرو بن العاص، وشرحبيل ابن حسنة، والميسرة إلى يزيد بن أبي سفيان، وهو بذلك ينسى المسلمين كثرة الروم ويدخل الرعب إلى قلوب الروم.

ج - عين خالد أبا الدرداء قاضياً للجيش، وعين أبا سفيان واعظاً.

د - خالد يأمر الجيش بالاستعداد للهجوم، وهو على تلك الحالة إذ أقبل البريد من المدينة مسرعاً يتخطى الناس ويسأل عن خالد، ولما بلغ البريد خالداً أخبره بوفاة أبي بكر وأسرَّ إليه به، وسرَّ خالد من حسن تصرف البريد، وقال له: أحسنت ووضع الكتاب في كنانته؛ كي لا يطلع عليه أحد.

ه - دارت رحى المعركة وقتل منهم خالد الكثير حتى بلغ عدد قتلاهم مائة وعشرين ألفاً، وهزم الروم ففروا حتى بلغوا دمشق، ولما سمع (هرقل) بهزيمة الجيش؛ هرب من حمص، وطهر المسلمون الأردن من الروم، ثم لحقوا بهم إلى دمشق وحاصروهم هناك واستشهد من المسلمين ثلاثة آلاف صحابي منهم مائة ممن شهدوا بدراً.

و - لما انتهت المعركة أظهر خالد الكتاب فإذا هو نعي للخليفة وعزل لخالد من الإمارة وتولية أبي عبيدة بن الجراح، وعندها قال خالد " الحمد لله الذي قضى على أبي بكر بالموت وكان أحب إلي من عمر، والحمد لله الذي ولى عمر وكان أبغض إليَّ من أبي بكر وألزمني حبه "[٤١].

المشاورة في الاستخلاف.

استخلف أبو بكر ﷺ عمر بن الخطاب ﷺ في مرضه الذي توفي فيه، ولكنه لم يطمئن إلى وصيته حتى استشار فيها نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ، ثم أمر عثمان أن

(٤١) البداية والنهاية، ابن كثير، ج7، ص14.

يسأل جماعة المسلمين، أتبايعون لمن في هذا الكتاب؟ فلما قالوا نعم اطمأنت نفس أبي بكر، وأرسل إلى عمر فنصح له ووصاه بما أراد.

إن ذلك الحرص على مصلحة الأمة وتوحدها، وعدم الاختلاف فيما بينها كان مما يصبوا إليه أبو بكر ﷺ حتى في نهاية حياته لتطمئن نفسه وروحه.

مرض أبو بكر في جمادي الأولى ثم توفي في النصف من جمادي الآخرة قبل فتح الشام بعشرة أيام، وتلك الأيام العشرة هي التي وصل فيها البريد من المدينة إلى الشام.

رضي الله عنك يا أبا بكر يا خليفة رسول الله أشهد أنك قد أديت الأمانة التي حُمِّلتها بعد رسول الله ﷺ.

الخاتمة:

بعد الاطلاع على توجيهات أبي بكر ﷺ ودراستها بصورة موضوعية وعلمية ارتأى الباحث ما يلي:-

١ -تضمنت توجيهاته ﷺ عدداً من الفضائل التربوية منها: "حبه لله ولرسوله ﷺ، اقتداؤه به، الوفاء، الصدق، الإخلاص، الصرامة والحزم، اللين، المشاورة، حرصه على التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، الحيطة والحذر، الثبات الانفعالي والذكاء الوجداني، والفطنة والذكاء".

٢ -جمع أبو بكر بين الشدة واللين، واتضح ذلك من خلال موقفه من محاربة المرتدين فكان شديداً صلباً لا يتهاون في أي حدٍّ من حدود الله، وفي المقابل كان رؤوفاً ليناً بالفقراء والمساكين، وخدمة الناس، فلما امتنع عن تقديم المعونة على من أساء إليه في حادثة الإفك سرعان ما عاد وقدمها[٤٢] بمجرد أن استمع إلى آية من كتاب الله.

٣ -المشاورة، وهذا من أهم ما ميز شخصيته ﷺ، وخاصة في الأمور الصعبة مثل اليرموك.

التوصيات:

١ -دراسة سيرة الخلفاء الراشدين دراسة متعمقة وواضحة.

٢ -أن يتم تضمينها المناهج الدراسية لأهميتها.

٣ -إقامة المسابقات الثقافية عبر وسائل الإعلام؛ للتعرف على أهم محطات حياة، وسيرة ومواقف الخلفاء الراشدين للاستفادة منها في جميع مناحي الحياة.

٤ -أن نجعل من سيرة وحياة الخلفاء الراشدين والصحابة كلهم أجمعين ﷺ مُثلاً عليا في حياتنا الدنيا؛ فهم كالنجوم بأيهم اقتدينا اهتدينا.

(٤٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج8/ص117.

الفهرس:

ملخص البحث: 156
ABSTRACT 156
المقدمة: 157
المضامين التربوية في توجيهات أبي بكر الصديق. 159
الكريم لا يضام. 160
الذكاء الوجداني والثبات الانفعالي() في بعض توجيهات ومواقف أبي بكر. 161
المضامين التربوية في خطبته ﷺ عندما بُويع بالخلافة. 165
الاقتداء برسول الله وحبه له. 167
الصرامة والحزم في حرب المرتدين. 168
توجيهات الخليفة لأولئك القادة. 170
عدم التهاون حتى مع القادة العظام. 171
حديقة الرحمان أم حديقة الموت. 172
توجيهات أبي بكر الصديق ﷺ في اليرموك. 172
توجيهات أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان. 173
خالد بن الوليد نعم الاختيار. 175
المشاورة في الاستخلاف. 176
الخاتمة: 178